

بناء صورة المرأة من خلال سورة مريم

بتول جان و عماد عبد الباقي علي

البحث

اهتمت الشريعة الإسلامية بالمرأة اهتماماً كبيراً، وأوردت لها العديد من الأحكام الفقهية التي تؤكد على حقوقها ومكانتها؛ حتى إن الكثير من السور القرآنية تكلمت عن المرأة وحقوقها، أو سميت باسم المرأة أو ما يتعلق بها من الأحكام الفقهية أو الحقوق أو المعاملات أو غير ذلك.

في البحث عن أسماء المرأة في القرآن الكريم نجد أن القرآن يذكر الكثير من الشخصيات النسائية مرتبطة بقصصها، ومن مثل السيدات التي تكلم عنها القرآن (زوجة إبراهيم)، يقول تعالى في القرآن الكريم: «فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَأَمْرُهُ فَائِزَةٌ فَفَضَحَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ» سورة هود: آية (٧٠ - ٧١)

قال الطبري في تفسيره " يقول تعالى ذكره: (وامرأته)، سارة بنت هاران بن ناحور بن ساروج بن راعو بن فالغ، وهي ابنة عم إبراهيم، قائمة قبل: كانت قائمة من وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام إبراهيم عليه السلام. وقيل: كانت قائمة تخدم الرسل، وإبراهيم جالس مع الرسل" ٢

إلا أن القرآن الكريم لم يذكر اسم زوجة سيدنا إبراهيم مباشرة، وإنما ذكرها بما هي مشهورة به وما يسهل معرفتها من خلاله، وفي سورة يوسف لم يذكر القرآن الكريم صراحة اسم زوجة العزيز السيدة (زليخا)، إنما ذكرها مقرونة بزوجها (امرأة العزيز)، وكذلك (امرأة فرعون) السيدة آسيا، وربما مرّد هذا أن القرآن الكريم يذكر الأسماء أو الألقاب تبعاً للمشهور منها والمعروف وما يسهل الاستدلال به على صاحب الشخصية، بالإضافة إلى ما اشتهر به الأسلوب القرآني بتقديم أسماء الشخصيات تبعاً لسهولة الاستدلال عليها، وكذلك اقتضاء لحال السياق القرآني الذي ترد فيه اسم الشخصية.

رغم أن القرآن الكريم لا يذكر اسم المرأة صراحة إلا أننا مع السيدة مريم نجد أن اسمها ذكر في القرآن الكريم صراحة ٣٤ مرة في أكثر من موضع في القرآن الكريم، وأيضاً " ذكرت السيدة مريم في الإنجيل على أنها أم لسيدنا عيسى - عليه السلام - ١٩ مرة ٣

وضع المرأة قبل الإسلام

لسيدنا عيسى عليه السلام، المنتسب إلى أمه في اللقب والاسم؛ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون" ٤ وتكريم الإسلام والقرآن الكريم للسيدة مريم عامة يختلف عن بعض الطوائف المسيحية.

إذا نظرنا إلى صورة السيدة مريم عند الطوائف المسيحية نجد أن: "الطائفة الكاثوليكية تهتم بالسيدة مريم وتضعها

نزل القرآن الكريم بآيات كريمة واضحة وصريحة في كيفية التعامل مع السيدات، ولتوضيح كافة حقوقها في كل المواقف، كما اختص القرآن الكريم بعض السيدات بالذكر، لعظم مكانتهن ولفضلهن، ومنهن السيدة مريم التي ذكرت صراحة في القرآن الكريم في أكثر من موضع.

كُرِّمَت السيدة مريم بتخصيص سورة كاملة باسمها دون غيرها من النساء، وهذا لعظم مكانة السيدة مريم في الإسلام، حيث إن هذا تكريماً للسيدة مريم وتكريماً

لم يكن للمرأة في الجاهلية حقوق، بل كان مجرد إنجاب البنت عار على أهلها، ولذلك انتشرت حوادث وأد البنات، ليس هذا فقط بل كانت المرأة تورث إلى أبناء المتوفى وكأنها عقار أو أموال، ولم يقتصر الأمر على بلاد العرب، بل امتد ليشمل الإغريق وغيرها من الأمم؛ ففي اليونان لم يكن يحق للمرأة التعلم، وفي الهند كانت المرأة تُحرم من حقوق الميراث وغير ذلك، على العكس من فترة ما بعد الإسلام؛ حيث

وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِهَا وَكَانَتْ مِنْ الْقَاتِنِينَ ﴿سورة التحريم، آية: ١٢﴾ ويقول تعالى في سورة مريم: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَعْثًا﴾ (سورة مريم، آية: ٢٠) وهذا إقرار من القرآن الكريم واعتراف لعذريتها وأنها لم يمسهها بشر، يقول تعالى في سورة آل عمران: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (سورة آل عمران، آية: ٤٧) كما قال تعالى في سورة التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ (سورة التحريم، آية: ١٢) قال ابن كثير: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي حفظته وسانته، والإحصان: هو العفاف والحرية، (فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا) أي: بواسطة الملك، وهو جبريل، فإن الله بعثه إليها فتمتل لها في صورة بشر سوي، وأمره الله تعالى أن ينفخ فيه في جيب درعها، فنزلت النفخة فولجت في فرجها، فكان منه الحمل بعبسى، عليه السلام، ولهذا قال (فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا) وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِهَا) أي: بقدره وشرعه (وَكَانَتْ مِنَ الْقَاتِنِينَ)

٢) الأُمومة :

ولهذا السبب هي تسمى بـ"مريم الأم المقدسة"، وأيضاً يسمى عبسى عليه السلام بـ"عبسى بن مريم" يقول تعالى في القرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (سورة مريم، آية: ٢٤)

٣) العزلة :

حيث إنها غادرت أهلها لتعيش في

قصة السيدة مريم العذراء نجد أن هناك بعض الشخصيات الأساسية وهناك بعض الشخصيات الفرعية أو غير الأساسية، وقد اعتمدت لغة قصة السيدة مريم على الحوار وليس على السرد، والبحث يحاول متابعة هذه الصورة للخروج بكيفية بناء قصة السيدة مريم.

المبحث الأول: سمات مريم عليها السلام في القرآن الكريم والحديث الشريف

عند تتبع الحديث عن شخصية مريم نجد أن بعض السمات تبرز لنا كما يظهرها القرآن الكريم أو يتكلم عنها، ومن هذه السمات:

١) التعفف- العذرية (البتولية) :

ولهذا السبب هي تسمى دائماً بـ "مريم العذراء"، وهذا من فضائلها عليها السلام، أنها عذراء لم يمسهها بشر، وأكرمها الله بعبسى النبي -عليه السلام- من غير زوج، وقد خلقه الله في رحمها كما خلق آدم فآله يفعل ما يريد، و" يؤمن الكاثوليكيون أن السيدة مريم عذراء ولم يمسهها بشر أما البروتستانت لا يصرون على وجهة النظر هذه مثل إصرار الكاثوليك، حتى إنهم يقولون أحياناً إن السيدة مريم ليست عذراء" ٨ إلا أن القرآن نزل بتكريمها وإظهار الحقيقة حولها، فالبتول أي المتقطعة للعبادة وهذا أيضاً من فضائلها ومن أسباب تزكية نفسها التي زكاها الله بها، يقول تعالى في سورة مريم علي لسان السيدة مريم عليها السلام: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا

في مكانة كبيرة ويأتي على العكس منهم الطائفة البروتستانتينية الذين لا يهتمون كثيراً بالسيدة مريم؛ حيث يرون أن كثرة الاهتمام بالسيدة مريم يقلل الاهتمام بالسيد المسيح وهو النبي المرسل" ٥ وقريب من هذا الرأي قول جوناي تومر: " بالنسبة إلى بعض المسيحيين فإن السيدة مريم عندهم مثل الإله الأم ويجعلون لها بعض خصائص الإله، وربما لهذا السبب أحياناً تسمى أم الرب" ٦ وهذا ليس من قبل التكريم إنما التقديس للبشر.

كرم القرآن الكريم السيدة مريم تكريماً كبيراً، من مثل ذلك ذكرها صراحة ٣٤ مرة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، كما أفردت سورة كاملة للحديث عنها، وهذا يدل على عظم مكانة السيدة مريم خاصة في الإسلام، كما يدل على تكريم المرأة عامة، يقول تعالى ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا﴾ (سورة مريم، آية: ١٦) يقول ابن كثير في تفسيره " ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة، فكانت إحدى العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة العظيمة والتبتل الدؤوب، وكانت في كفالة زوج أختها - وقيل: خالتها - زكريا نبي بني إسرائيل إذ ذاك وعظيمهم، الذي يرجعون إليه في دينهم، ورأى لها زكريا من الكرامات الهائلة ما بهره" ٧

أما عن صورة مريم من خلال بناء القصة فإن القصة في القرآن الكريم تختلف في بنائها عن القصة الفنية، فني الوقت الذي تعتمد فيه القصة الفنية على الخيال أو المزج بين الحقيقة والخيال فإن القصة في القرآن الكريم تأتي معبرة عن الحقائق التاريخية، وفي

مكان آخر، يقول تعالى: ﴿إِذِ انْتَبَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (سورة مريم، آية: ١٦)

٤) نسبها الطاهر الشريف:

حيث إن أمها هي حنة وأبؤها هو عمران: هي من آل عمران، يقول تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة آل عمران، آية ٣٢ - ٣٤) ويقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة آل عمران، آية: ٣٥)

٥) رزق الله لها:

وهو ما جاء على لسان سيدنا يحيى في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (سورة آل عمران، آية: ٢٧)

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن سمات السيدة مريم وما ذكر عنها في الحديث الشريف نجد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تكلم عنها في كثير من الأحاديث؛ عن أهمية المرأة وفضلها وخاصة السيدة مريم، فتجده يقول في الحديث الشريف: (أفضل نساء الجنة أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة ابنة محمد، وآسية ابنة مزاحم) وفي رواية أخرى: (أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون) وهنا نرى

تقدم ذكر اسم مريم ابنة عمران - عليها السلام - على غيرها من النساء لفضلها ولتكرمها، ويقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الشريف: (سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم ابنة عمران، فاطمة، وخديجة، وآسية امرأة فرعون)، وفي رواية أخرى: (خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ)، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث: (حسبك من نساء العالمين أربع سيدات: فاطمة بنت محمد، وخديجة بنت خويلد، وآسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران) وكذلك (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، إلا ما كان من مريم بنت عمران)، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الشريف: (كَمَلْ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) ٩ وهذه الأحاديث وغيرها تؤكد على عظم مكانة السيدة مريم في الإسلام، وتدلل كذلك على أهمية ومكانة المرأة في الإسلام؛ حيث أفرد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثيرًا من الأحاديث الشريفة للتنبيه على أهمية معاملة النساء بالطرق الحسنة، كما اهتم القرآن الكريم في كثير من آياته وسوره بالحديث عن المرأة وطرق التعامل معها وحفظ مكانتها وخاصة سورة مريم.

المبحث الثاني: مكانة المرأة من

خلال بناء سورة مريم

التفسير هو محاولة الاجتهاد لمعرفة مقصود كتاب الله تعالى وفهم دلالاته، من خلال التبحر داخل الآيات القرآنية

والسور الكريمة، يقول أبو حيان الأندلسي: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب." ١٠ وسورة مريم هي إحدى السور المكية ١١ والآيات التي تتكلم عن قصة السيدة مريم من الآية ١٦ إلى الآية رقم ٤٠ في شكل قصصي متكامل.

اهتم القرآن الكريم بالمرأة واحتضى بها احتفاءً كبيراً، وقد خصصها بكثير من الكرامات التي لم تتح لغيرها من السيدات؛ يقول تعالى في سورة مريم: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهَرَيَّ إِلَيْكَ وَجَدِ الْجَنَّةَ تَسَاقُطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾ (سورة مريم، آية: ٢٤ - ٢٥)

يقول البيضاوي في تفسيره: (عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد .. وهزي أي وأميليهِ إليك والباء مزيدة للتأكيد أو افعلي الهز والإمالة به أو هزي الثمر.. "تساقط" أي تساقط فادغمت التاء الثانية في السين وقيل إنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأساً وخصوا ورطباً) ١٢ واستخدام التأكيد بالباء له أهميته من حيث العمل بالأسباب حتى ولو كان الأمر صعباً من الناحية العقلية.

ويقول الشهاب في حاشيته على تفسير البيضاوي: (حزنها لم يكن لفقد الطعام والشراب حتى تتسلى بالسرى والرطب وجوابه بأن تسليتها بهما ليست من هذه الحيثية بل من حيث اشتغالها على أمور خارقة للعادة دالة على براءة ساحتها وقدرة الله الباهرة التي يهون عندها كل

وأنه على كل شئ قدير وأن الله حقاً لن يتركها، فأمنت أنه القادر على أن يجعل ابنها يتكلم وهو صغير، وربما بسبب رؤيتها للمعجزات السابقة، سواء في حملها بدون رجل، أو سقوط التمر عليها وجريان الماء من تحتها.

يقول البيضاوي في تفسيره: (إلى عيسى عليه السلام أن كلموه ليجيبكم، .. فأنطقه الله تعالى به أولاً لأنه أول المقامات وللدرد على من يزعم ربوبيته، والتعبير بلفظ الماضي باعتبار ما سبق في قضائه أو يجعل المحقق وقوعه كالواقع، وقيل أكمل الله عقله واستنبأه طفلاً) ١٨

إذا ما انتقلنا إلى حاشية الإمام القنوي نجده يقول عن هذه الآيات: (فأشارت إليه: الفاء للتعقيب مع السببية إلى عيسى عليه السلام وقد كلمها عيسى -عليه السلام- في الطريق فقال يا أمه أبشري فإني عبد الله ومسيحه، فلما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك .. والتعبير بلفظ الماضي مع أنه في المستقبل إما باعتبار ما سبق في قضائه وعلمه وإن كان مستقبلاً بالنسبة إلى زمان التكلم) ١٩

والتعبير بصيغة الفعل الماضي في حالة الإخبار للتأكيد أن هذا الأمر سيحدث، ولا مفر منه إلا بالاستعداد له، وقد استخدم هذا الأسلوب كثيراً في القرآن الكريم؛ مثل قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرٌ لِّلَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (سورة النحل، آية: ١)

يقول الإمام القنوي عن هذه الآية (أتى أمر الله) من الآية المسبقة "أي أتى استعارة تبعية والمعنى يأتي أمر الله لكنه لتحقق وقوعه استعير له الماضي." ٢٠

إذا ما انتقلنا إلى حاشية الإمام القنوي نجده يقول: (المراد بالأمرين الأكل والشرب .. لأنه تعالى سلاها أزال حزنها أمرها بالأكل والشرب لأن الحزين يكاد أن يغص بالماء الفرات فضلاً عن غيره كأنه قيل لما زال حزنك بما شاهدته من الأمور الغريبة المتعلقة بالمأكول والمشروب فاشتغلي بالأكل والشرب هنيئاً مريئاً وقدم الأكل لأنه قوام البدن أو لأن المعتاد تقديم الأكل على الشرب وتقديم، وتقديم السري فيما قيل لأن الماء سبب حياة كل شئ فالاهتمام به من هذه الحيثية أولى ولأن الماء الجاري يكون سبباً للتطهير وأدخل في إزالة الحزن وتقدم حصوله على وجود (الربط) ١٧

فبعد أن أكرم الله تبارك وتعالى السيدة مريم بالمعجزات والكرامات أكرمها بالطعام والشراب خاصة أن القرآن بشرها أن ابنها الذي تخاف أن يلومها قومها عليه هو نفسه الذي سيرأها من كل بهتان عليها، وهي لن تتكلم ولن تجادل، وهذا تكريم آخر برفع عنها إحراج الحديث والجدال مع قومها، حيث جاءت الكرامة والمعجزة في أكثر ما تخاف منه السيدة المريم - عليها السلام -

يقول تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْرِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)﴾ (سورة مريم، آية: ٢٩-٣٠)

وهي معجزة سيدنا عيسى عليه السلام لقومه ليؤمنوا به، وكرامة للسيدة مريم وإكراماً لها، أن يتكلم ابنها في المهد دفاعاً عنها، والسبب إشارة من يديها، كما أن السيدة مريم أمنت بالله وكلامه

شئ، حتى لا ينكر أمرها فقوله بذلك أي بقوله قد جعل ريك تحتك سرياً الخ، وقوله لما فيه من المعجزات قيل إن نسب ذلك لمريم فهو كرامة) ١٢ فأكرمها الله تبارك وتعالى بمعجزة وكرامة من عنده في أكثر لحظات ألمها وضعفها، حتى تتسلى بها وتعلم أنها على الحق، ولكي لا تحزن ولا تألم، يقول القنوي في حاشيته: (قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ذلك نهرًا قد انقطع ماؤها فأجراه الله تعالى لمريم، والنهر يسمى سرياً لأن الماء يسري فيه وقيل سيداً وهو عيسى عليه السلام) ١٤ وهكذا يتضح لنا هنا مظهر من مظاهر تكريم للسيدة مريم، ففي وقت شدتها الكبرى يظهر لها كرامة من الله لتثبتيها.

يقول تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَكَلَّمِي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ النَّبَشْرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (سورة مريم، آية: ٢٦)

يقول البيضاوي في تفسيره: (أي من الرطب وماء السري أو من الرطب وعصيره، وطيبني نفسك وارفضي عنها ما أحزنك.. فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره) ١٥

ويقول الشهاب في حاشيته: (الإشارة إلى جميع ما تقدم - من الطعام والشراب - لأنه تعالى سلاها تسلياً أزال حزنها أمرها بالأكل والشرب لأن الحزين لا يتفرغ مثله كما نبه عليها بقوله وقري عيناً، وقدم الماء أولاً وآخر الشراب هنا لأن الماء الجاري أظهر في إزالة الحزن وأصل في النفع عام نفعه للتطهير ونحوه) ١٦ وكل هذا من فضل الله ونعمه وتخفيفاً عنها في أكثر لحظات ضعفها واحتياجها بمن يأخذ بأيديها ويقويها.

الزركشي وابن قتيبة وابن الأثير وغيرهم، حيث قال ابن الأثير ضمن كلامه عن الالتفات: "وأعلم أن التحول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية، اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي أطلع على أسرارها، وقش عن دفائنها، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكال ضروب علم البيان، وأدقها فهماً وأغمضها طريقاً" ٢٥

وهو ما كانت العرب تستخدمه دائماً في أشعارها وبياناتها، وما ظهر ذكره كثيراً في القرآن الكريم الذي نزل باللغة العربية. ونستطيع أن نقول إن البحث قد خلص إلى مجموعة من النتائج أبرزها ما يلي:

أبرز النتائج:

- ١- كرم القرآن الكريم السيدة مريم تكريماً كبيراً من خلال الكرامات التي حباها بها دون غيرها.
- ٢- اختصت السيدة مريم بذكر اسمها صراحة في أكثر من موضع في القرآن الكريم، وبإطلاق اسم سورة كاملة على اسمها لعظم شأنها ومكانتها.
- ٣- استخدم القرآن الكريم صيغة التعبير بالفعل الماضي على لسان سيدنا عيسى للربط على قلب السيدة مريم وبشارة لها بأن وليدها سيكون له شأن عظيم في المستقبل.

قسّم النحاة الفعل إلى ثلاثة أقسام؛ ماضٍ ومضارع وأمر، ولكن هذا التقسيم لم يكن محل اتفاق بين جميع النحاة، حيث إن صيغة الزمن قد تختلف تبعاً للسياق اللغوي الذي وردت فيه، فهذا التقسيم يهمل السياق الذي جاء فيه الزمن، ولذلك فقد ظهر من اللغويين المحدثين من يقسم الزمن تبعاً للمعنى الإجمالي إلى نوعين هما:

أولاً: الزمن الصريفي.

وهو الزمن الذي تدل عليه الصيغة المفردة خارج السياق.

ثانياً: الزمن النحوي.

أو يسمى الزمن السياقي التركيبي. ٢٤

والتعبير بصيغة الماضي عوضاً عن المستقبل يأتي في سياقات كثيرة ومتعددة، كإخبار الله تعالى عن أحداث المستقبل، أو عند الحديث عن أخبار يوم القيامة ومشاهدها، وأحياناً عند الحديث عن عذاب القبر، للتأكيد على وقوع هذه الأحداث الغيبية وأنها عند الله في منزلة المتحقق، وللتأكيد على أن هذا مؤكد الحدوث لا محالة، وللتأكيد للبشر على أن هذه المشاهد هي ما ينتظرهم يوم القيامة، وقد تكلم عن هذه الظاهرة عدد من اللغويين القدامى، فتكلم عنها

فالفعل (أتى) بصيغته يدل على حدث تم وانقضى، إلا أن الدلالة اللفظية والسياقية في الآية الكريمة في قوله تعالى (فلا تستعجلوه) دلت على أن الحدث لم يتم بالفعل، فعلى الرغم من أن الصيغة الصرفية تعطي معنى تم وانتهى، إلا أن الصيغة النحوية التركيبية تعطي معنى آخر.

فاذا نظرنا إلى البيضاوي نجده يقول في تفسيره: "المعنى أن الأمر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث إنه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فإنه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه." ٢١

وقد تكلم الزمخشري عن معاني العدول عن الحديث بصيغة المضارع إلى الحديث بصيغة الماضي عندما قال: "دلّ التحول إلى الماضي على سرعة تحقق الفعل وحصوله مثل تحقق الماضي في حدوثه، وكأنه يتحدث عن أمر قد حدث وحصل في الزمن الماضي" ٢٢ وهذا من قبيل التأكيد على وقع الفعل واليقين من تحققه، وقد قال السكاكي: "وإنه -أي الانتقال من التعبير بالماضي إلى المضارع- طريق للبلغاء لا يتحولون عنه، إذا اقتضى المقام سلوكه" ٢٣ وبالتالي فالمعنى لا يقتصر فقط على البعد اللغوي وإنما يدخل فيه أيضاً بعداً بلاغياً، كما أن العدول عن المضارع إلى الحديث بالفعل الماضي من أصل كلام العرب التي عرفت بالبلاغة والفصاحة.

قائمة المصادر:

- ١- القرآن الكريم
- ٢- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، ج ٣.
- ٣- أبو حيان محمد بن يوسف: البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ج ١، ١٩٩٢ م.
- ٤- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير ابن كثير، دار طيبة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م

قائمة المراجع

- ١- تمام حسان: اللغة العربية مبناها ومعناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩٤م.
- ٢- ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت: أحمد الحويفي وبيدوي طبانة، دار الرفاعي، ج ٢.
- ٣- عبد الله محمود محمد عمر: حاشية القنوي علي تفسير الإمام البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- ٤- عبد الله محمود محمد عمر: حاشية القنوي علي تفسير الإمام البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١.
- ٥- ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت.

المراجع الأجنبية

- Bilal Gökktr. Meryem Suresi Tefsiri –Metin ve Yorum İncelemesi-. Fecr Yayınları. Ankara ٢٠١٢.
- Günay Tümer. Hristiyanlıkta ve İslam'da Hz. Meryem. Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları. Ankara ١٩٩٦.
- Süleyman Sayar. “Prof. Dr. Günay Tümer’e Göre Hristiyanlıkta ve İslam’da Hz. Meryem”. T.C. Uludağ Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi. Sayı ٧. Cilt ٧. ١٩٩٨.

الهوامش

- ١ سورة النساء، سورة مريم، الطلاق
- ٢ تفسير الطبري، سورة هود آية ٧١، ص ٢٢٩.
- ٣ Bilal Gökktr. Meryem Suresi Tefsiri –Metin ve Yorum İncelemesi-. ٢٠١٢. s. ١١٣.
- ٤ صحيح الترمذي: رواه أنس بن مالك، المحدث: الألباني - رقم: ٢٨٧٨، حديث صحيح.
- ٥ Bilal Gökktr. Meryem Suresi Tefsiri –Metin ve Yorum İncelemesi-. ٢٠١٢. s. ١١٢.
- ٦ Günay Tümer. Hristiyanlıkta ve İslam'da Hz. Meryem. s. ٥٢. s. ١٢٢.
- Süleyman Sayar. “Prof. Dr. Günay Tümer’e Göre Hristiyanlıkta ve İslam’da Hz. Meryem”, T.C. Uludağ Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi. Sayı ٧. Cilt ٧. s. ٢. s. ٥
- ٧ تفسير ابن كثير، سورة مريم، آية ١٦
- ٨ - Bilal Gökktr. Meryem Suresi Tefsiri –Metin ve Yorum İncelemesi-. s. ١١٢.
- ٩- صحيح البخاري، المجلد ٥ (كتاب ٦٢).
- ١٠- أبو حيان محمد بن يوسف: البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ج ١، ص ١٨٤
- ١١- عبد الله محمود محمد عمر: حاشية القنوي علي تفسير الإمام البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١، ج ١٢، ص ١٨٤.

- ١٢- ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، ج٦، ص ١٥٣.
- ١٣- ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، ج٦، ص ١٥٣ - ١٥٤.
- ١٤- عبد الله محمود محمد عمر: حاشية القنوي علي تفسير الإمام البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١، ج١٢، ص ٢١٧.
- ١٥- ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، ج٦، ص ١٥٤.
- ١٦- ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، ج٦، ص ١٥٤.
- ١٧- عبد الله محمود محمد عمر: حاشية القنوي علي تفسير الإمام البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١، ج١٢، ص ٢١٩.
- ١٨- ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، ج٦، ص ١٥٥ - ١٥٦.
- ١٩- عبد الله محمود محمد عمر: حاشية القنوي علي تفسير الإمام البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١، ج١٢، ص ٢٢٤.
- ٢٠- عبد الله محمود محمد عمر: حاشية القنوي علي تفسير الإمام البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١، ج١١، ص ٢٠٧٢-٢٠٧٣.
- ٢١- ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت، ج٥، ص ٣٠٩.
- ٢٢- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، ج٢، ص ١٦١.
- ٢٣- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ص ٢٤٧.
- ٢٤- تمام حسان: اللغة العربية مبناها ومعناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، ص ٢٤.
- ٢٥- ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، ج٢، ص ١٩٣.